البر لا يبلى والديان لا يموت .. !!

الخطبة الأولى:

الحمد لله ذي العز المجيد والبطش الشديد المبديء المعيد الفعال لما يريد ,المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد المكرم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد , , فسبحان من قسّم خلقه قسمين وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد من عمل صالحا فلنفسه , ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد أحمده وهو أهل للحمد والثناء والتمجيد وأشكره ونعمه بالشكر تدوم وتزيد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفو ولا ضد ولا نديد ..

يا من إذا وقف المسيء ببابه\*\*

 ستر القبيحَ وجاد بالإحسانِ

أصبحتُ ضيف اللهِ في دار الرضا \*\*

 وعلى الكريم كرامةُ الضيفانِ

تعفوا الملوكُ حين النزول بساحتهم \*\*

فكيف النزولُ بساحةِ الرحمنِ

يا واحداً في ملكه ماله ثانِ\*\*

يا من إذا قلت يا مولاي لبانِ

أعصيك تستُرني أنساك تذكُرني\*\*

فكيف أنساك يا من لستَ تنسانِ

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد الساعي بالنصح للقريب والبعيد المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً أما بعــــد :

أيها المؤمنون-عبـــــــــاد الله : - يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل كان مسافر في أرض فلاة مترامية الأطراف صعبة التضاريس متشعبة الوديان وإذا به يسمع صوتاً يخاطب سحابة يوشك أن يسقط منها المطر ، اسق حديقة فلان ، فتنحّى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حَرّة ( والحرة هي الأرض التي تكثر بها الحجارة السوداء ) فإذا شَرجةٌ من تلك الشراج ( والشرجة هي الساقية أو قناة من قنوات الماء ) قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبّع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك ؟ ، قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله ، لم تسألني عن اسمي ؟ ، فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه ، يقول : اسق حديقة فلان - لاسمك - ، فما تصنع فيها ؟ ، قال : أما إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه )(رواه مسلم) ما أعظم أن يذكرك الله من بين الخلق وحدك و يجزيك على أفعالك خيراً كثيراً ...

 وإذا العناية لا حظتك عيونها \*\*\*نم فالمخاوف كلهن أمان

 فاستمسك بحبل الله معتصما \*\*\* فإنه الركن إن خانتك أركان.

إن لله سنن ثابتة يسير عليها هذا الكون الفسيح وتقوم عليها الحياة وتنتظم بها علاقات البشر وعليها يكون الجزاء والحساب في الدنيا والآخرة ومن هذه السنن سنة الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان فجزاء العامل من جنس عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال تعالى ( فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ) ( 7/ الزلزلة)، وقال تعالى : ( لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً) (النساء: 123ـ 124) وقال صلى الله عليه وسلم : (أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به...)(الطبراني في الأوسط (4429) وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: "إسناده حسن".) وقال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ \* وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ \* وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ \* وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ \* وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ \* فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ \* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ \*هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ\*﴾( سورة المطففين: 29-36).

عبـــــــــاد الله : - كم ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل هذا الدين وصبر وأُوذي في أهله وماله ونفسه وبلغ رسالة ربه فماذا كان الجزاء؟ لقد اختصه الله من بين خلقه وشرفه بحمل الرسالة وقرن اسمه باسمه فلا يمكن أن تقول لا إله إلا الله ويتحقق إيمانك وإسلامك بل لا بد أن تقول محمد رسول الله وهو أول شافع وأول من يدخل الجنة وغير ذلك من المنازل والفضائل، بل وصل وبلغ إلى سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج والتي لم يصلها من قبل ملك مقرب ولا نبيٌ مرسل فكان جزاءه من جنس عمله لما وصل مع جبريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى وقف جبريل قال له: لو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد مكنّه الله عز وجل من ذلك وتقدم ليقف عند سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى للقاء الله عز وجل فما أعظمها من منزلة وما أعظمه من جزاء، فأعمل ما شئت فكما تدين تدان.

 إن سنة الجزاء من جنس العمل تجري على العباد في جميع أمورهم في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وإن من ينظر حوله ويتفكر في أحوال العباد يجد ذلك جلياً وظاهراً للعيان في واقع الحياة ثم إن نصوص الكتاب والسنة تؤيد ذلك تحذيراً وتبشيراً وإنذارا .

أيها المؤمنون : - من عبد الله حق العبادة وعرف ربه في الرخاء فإن الجزاء من جنس العمل ذلك أن الله لن يخذله وسيكون بجانبه وقت الشدة .. هذا يونس عليه السلام قال عز وجل عنه وقد ألقي في البحر والتقمه الحوت ( فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون [سورة الصافات: 144]. أي لولا ما تقدم له من العمل الصالح في الرخاء وقيل: لولا أنه كان من المصلين قبل ذلك للبث في بطنه إلى يوم يبعثون [سورة الصافات:144]. أي لصار له بطن الحوت قبرا إلى يوم القيامة، قال بعض السلف: " اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ).

 و إذا كان عمل العبد صالحاً وخالصاً لله فإن نعم الله عليه تأتيه في كل حين والله عز وجل يقول (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا )(10-12 نوح ) إنها دعوةٌ لكل مسلم أن يحسن العمل فجزاء لعامل من جنس عمله ... بروا آبائكم يبركم أبنائكم قبل أكثر من خمسين عام حج رجل مع والده الذي بلغ من العمر عتيا وكانوا وقتها يركبون الجمال وهم في قافلة فأراد الرجل الكبير أن يرتاح قليلاً من السفر وحرارة الشمس تحت ظل شجرة واستمرت القافلة بالسير وجلس االابن مع أبيه فلما ارتاح قليلاً حمل أبيه على ظهر وانطلق يجري به ليلحق بالقافلة يقول الابن : فجأة وإذا بأبي يبكي ودموعه تنحدر على رأسي وظهري فقلت مالك يا أبي والله أنك أخف على ظهري من نسمة الهواء قال: والله ما أبكي من أجل هذا ولكني في هذا المكان قبل فترة من الزمن حملت أبي على ظهري فتذكرت أن الجزاء من جنس العمل بارك الله فيك يا ولدي وكتب أجرك .

وهكذا هي أعمال العباد جزاءاً بجزاء قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( اقرؤوا إن شئتم : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ )[محمد: 22 ،23]( متفق عليه) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا .) و عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله ، بنى الله له بيتاً في الجنة )) (رواه البخاري) ومن حفظ أعراض الناس وغض بصره الحرمات حفظ الله عرضه وصان حرماته،

عفوا تعف نساءكم في المحْرَمِ \*\*وتجنبـوا مـالا يليق بمسلـم

من يزنِ في قوم بألفي درهم \*\* في أهله يُـزنى بربـع الدرهم

يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا \*\* سبل المودة عشت غير مكرم

لو كنت حرا من سلالة ماجد \*\* ما كنت هتاكا لحرمة مسلم.

ومن استغفرَ للمُؤمنين والمُؤمنات؛ كتبَ الله له بكل مُؤمنٍ ومُؤمنةٍ حسنة.. ومن سترَ مُسلماً سترَه الله، ومن ينفق ماله في وجوه الخير، يجازيه الله تعالى بأن يخلف عليه خيراً مما أنفق، ومن يتعامل بالربا يمحق الله ماله ويُذهب بركته، فيكونُ سبباً لوقوع الآفات فيه.. ومن كان في عَون أخيهِ، كان الله في عَونه، وإنما يرحمُ الله من عبادِه الرُّحماء، بل من عجائبِ البيان لهذه السُّنَّة الإلهيَّة: أن من نسِيَ الله نسِيَه الله، فلا يُبالِي به، ومن سمَّع بعمله سمَّع الله به مسامِعَ خلقِه وصغَّره وحقَّره، ومن راءَى يُرائِي الله به، ومن تتبَّع عورات المُسلمين تتبَّع الله عورتَه وفضحَه، ومن زاغَ عن الهُدى أزاغَه الله ومدَّ له من العذابِ مدًّاً، ومن أعرضَ عن ذِكرِ الله عاشَ ضنكاً ونكَداً، ومن أطابَ مطعمَه استجابَ الله دعوتَه، ومن عزمَ على ترك الذنوبِ ذاقَ حلاوةَ الإيمان، وأتَتْه الفتوحُ، ومن أصلحَ سريرتَه، أصلحَ الله علانيتَه، ومن أصلحَ ما بينَه وبين الله، أصلحَ الله ما بينَه وبين الناس، ومن تركَ شيئاً لله عوَّضَه الله خيراً منه.

 أيها المسلمون: ومن يظلم نفسه أو يظلم الآخرين من حوله لابد أن تدور عليه الدائرة ويسقى من نفس الكأس، سنة ماضية في الأفراد والأمم، لقد بلغ الفساد والظلم بالبرامكة وقد كانوا ولاه في الدولة العباسية ووزرائها مبلغاً عظيماً إلى جانب الإسراف والتبذير حتى قاموا بطلاء قصورهم بماء الذهب فإذا أشرقت الشمس في الصباح انتشر الضوء الوهاج في أرجاء المدينة حتى جاء الخليفة هارون الرشيد وقضى عليهم ووضع لهم حد وألقى بهم في السجون .. فقال ابنُُ ليحي البرمكى وزير هارون الرشيد و هم في السجن و القيود على أيديهم وأرجلهم: يا أبت بعد الأمر و النهى و النعمة صرنا إلى هذا الحال !!! , فقال : يا بنى إنها دعوة مظلوم سرت في جوف الليل غفلنا عنها , و لم يغفل عنها الله ... وصدق الله إذ يقول (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعي رؤوسهم، لايرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواء.".(إبراهيم 42-43) .

 اللهم أحفظنا بحفظك الذي لا يرام واحرسنا بعينك التي لا تنام و استرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة، قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه .

الخطــــبة الثانية : -

الحمد لله وكفى وسلاماً على عباده الذين اصطفى أما بعد:

 عبـــــــاد الله : - البر لا يبلي و الذنب لا ينسي و الديان حى لا يموت فأفعل يأبن أدم كما تشاء فكما تدين تدان ... عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ( السيلان والايدز وانفلونزا الطيور والخنازير وغيرها .. ) ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)) رواه ابن ماجه [السلسلة الصحيحة (106)].

أيها المؤمنون: الإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والخلق الحسن والكلمة الطيبة والموقف الشريف والعمل الصالح والنية الخالصة والنفس الطيبة والصبر الجميل والبذل السخي، أعمال عظيمة وأجورها كثيره وثمارها يانعة وجزاؤها موفور وعوضها كبير وإن استِشعار سُنَّة أن الجزاء من جنسِ العمل، واستِحضارها في كل المواقِف والأحداث، يمنَحُ العبدَ اليقينَ بعدل الله وحكمته، وأنه القادرُ على كل شيءٍ، الذي لا تخفَى عليه خافِية، ويجعلُ العبدَ يتوقَّعُ الخيرَ من الله، فيُحسِنُ الظنَّ بربِّه، ويرجُو رحمتَه وكرمَه وحُسن ثوابِه، ويشعُر بالطُّمأنينة والرِّضا؛ لأنه يعلمُ علمَ اليقين أنه سوفَ يُجازَى الجزاءَ الأوفَى، فلا يبأَس ولا ييأَس، والله لا يُضيعُ أجرَ من أحسنَ عملاً.

 اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق واعصيان واجعلنا من الراشدين ... نسأل الله جلّ وعلا أن يأخذ بنواصينا إلى كل خير وأن يجزينا بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهدينا سواء السبيل.

 هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على معلم البشرية، المبعوث بالحنيفية، خير من قام بالمسئولية، كما أمركم بذلك ربكم رب البرية، فقال تعالى قولاً كريماً: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً [الأحزاب:56]. ..... اللهم صلِّ وسلم وبارك على حبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله، وارض اللهم عن خلفاءه الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين!